بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحلقة الأولَى من محاضرات في
مقرر المُعجِزة والإعجاز
المفهوم والمنزلة أهمية معرفة الإعجاز
لطلاب وطالبات السّنة الثانية من المرحلة التمهيدية للتخصص (الماجستير) في البلاغة والنقد
المحاضر محمود توفيق محمد سَعد القاضي
مِن كتاب «إعجاز القرآن:الإعجاز في دراسات السابقين» للشيخ:عبد الكريم الخطيب.
(ص ٨٧- ١٥٠)

القول في المعجزة والإعجاز .
قَضَيَ نظاميًا أن يكون القولُ في القسم الأول من المقرّر الدراسي على طلاب السنة الثانية التمهيدية في مرحلة الماجستير تخصص البلاغة في العام الجامعي (١٤٤٥هـ) تحت عنوان(المعجزة والإعجاز : المفهوم والمنزلة وأهمية معرفى الإعجاز) وأن يكون ذلك من مصدرين رئيسين ومرجع أضافي:
المصدر الرئيس الأول كتاب «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني (ت" ٤٧١هـ) تحقيق محمود محمد شاكر طبعة " الخانجي" من ص(٨) إلى ص(٣٥)
والمصدر الرّئيس الآخر " كتاب «الإعجاز في دراسات السابقين » لعبد الكريم الخطيب طبعة دار الفكر العربي سنة ١٩٧٤م من ص(٧٨) إلى ص(١٥٠)
والمرجع الإضافيّ كتاب (الأعجاز البلاغي) لأستاذنا الشيخ محمد أبي موسى . طبعة مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية عام ١٣١٨ من ص(١١) إلى ص(٨٥)

تثوير القول

في المحاور التي جاءت في كتاب «الإعجاز في دراسات السابقين» من ص(٧٨-١٥٠)

وهي في «الباب الثاني: المعجزة في زمانها ومكانها»وقد أدار القول فيه على أربعة عشر محاورًا:

١) «ما المعجزة»
٢) «لماذا تتعدد المعجزات وتتنوع»
٣) «هل المعجزة لازمة للرسول»
٤) «الناس والمعجزات»
٥) «المعجزة الخالدة»
٦) «زمان المعجزة ومكانها»
٧) «ولماذا العربُ وحدهم»
٨) «وقفة مع الشعر الجاهلي»
٩) «الإسلام والشعر الجاهلي»
١٠) «ماذا في الشعر الجاهلي»
١١) «اللغة العربية ومكانتها بين اللغات»
١٢) «هل القرآن حجة على غير العربيّ»
١٣) «الله أعلم حيثُ يجعلُ رسالته»
١٤) «ما هو الإعجاز في القرآن»

تلك هي الأربعة عشر محورًا ،ولستُ هنا بالمقربِ أو الشارح لما يقول الأستاذ الخطيب فيها، فمن في طبقتك من طلاب العلم، غنيٌّ عن ذلك التقريب أو التيسير، ولا سيما أنمقال الشيخ فصيحٌ صَريح ، وإنّما أنا أَقْرَبُ إلى تَثويرك إلى أن تقُول ما يستمَع إليْهِ وما مقالة الشيخ الخطيب إلا حافزٌ لك ومُستفِزُّك إلى أنْ تعتكِف في الأسفار مستبصرًا متدبرًا، ومِن ثَمّ لن أُهمل من مقالة استاذنا الخطيب شيئًا كما أنّي لن أعتقلَ نظري فيها ، بل سأضيف إن شاء الله تعالى إليها قولًا في غيرها هو بها نسيب وإليها مجيبٌ ، ولا تجعلنَ همّك أن تستوعب ما قال الأستاذ الخطيبُ فيها ولا ما قد يتفضل به الله ﷻ عليّ فأزجيه إليك .

فريضة على مثلك طالب علم أن تكون لما يُساقُ إليك مصغيًا ، ثم محاورًا، ثم ناقدًا ، فذلك حقٌّ نفسِك عليْك ، فلا تبخسْها ،ولا ترضينّ بأن تكونَ حاملَ علم غيرك، بل لا بدَّ أن تضيفَ إليه أيضًا من تفكيرِك ، فإنما أنت منهي عن أن تقفُوَ ما ليس لك به علم {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}[الإسراء:٣٦] أي لا تقف إلا ما كنت أنت به عليم، لا ما كنت أنت حامله عن غيرك ، ولذا قال(ما ليسَ لَك به علم) ولم يقل لك (ما لم تعلم) فليس كل ما تعلم أهلٌ لأن تقفو، بل اقف ما أنتجه قلبك .

عَنِ الْمِقْدَامِ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » .(رواه البخاري في كتاب البيوع من صحيحه)

ولاتستحقِرنّ نفسَك فإنّك عند ربّك بإسلامِك وحفظِك كتابه وطلبَك العلم به ذو شأنٍ إن علمتَ فعملت.هو ﷻ يقول ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا ﴾ [الإسراء:١٨- ٢١]

ورسولنا ﷺ يقول« يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا ، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ » .(متفق عليه من رواية أبي هريرة ﷺ

وحق لنفسِك عليْك ألا تكتفِ بهذه المصادر والمراجع المشَار إليها، فما ذكرت إلا على سبيل بيان الفريضة ، والنبلاء لا يقتصرون على ما كان "فريضة" بل هم يعتنون أيضا بما كان «نفيلة» من جنس ما هو فريضة.

يقُولُ الله ﷻ في حديثه القدسي:« إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ،وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ،وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ،وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِى لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».(البخاري: الرقاق)

المحور الأول

(ما المعجزة؟)

فِقهُ المُصْطَلَح: (الإعْجازُ والمُعجِزةُ)

الإعْجازُ والمُعْجِزَةُ مُصْطَلَحانِ حادِثانِ فِي القَرْنِ الثَّالِثِ الهِجْرِيَ ، والقُرْآنُ والسُّنَّةُ لَم يَسْتَعْملا هَذَينِ المُصْطَلَحَيْن ، وإنَّما عَبَّرَ عَن المُعْجِزَة بمصطلحات أخر منها" الآية"، و"البَيِّنَة"،و"السّلطان"،و"البرهان"

ولكلٍّ وجهٌ مِن المعنى هو فيه أبرز ، سأشيرُ إليه إن شاء الله تعالى (1)

وأكثرُها حضورًا فيه مصطلح" «آية»، والآية هي العلامةُ الظَّاهرة ذات الدلالة الظّاهرة على شيْءٍ ما. فهي نفسُها ظاهرة ،ودلالتها على ما وضعت له ظاهرة . فالظهورُ عمود أمرها .

---

(1) وُرُودُ عدّة كلم على معنى يسمى في "علوم القرآن«النظائر» بينا استعمال الكلمة في أكثر من معنى يُسمّى" الوجوه" ، فلدينا «علم الوجوه والنّظائر » وهو علم سياقيّ ممّا يجعله أقرب إلى علم البلاغة منْ أنّ علم البلاغة يَعتني بمدارسة أربعةٍ :

(السياق) و(الاقتضاء) و(المطابقة) و(الأثر)

هذه الأربعةَ هي عُمُدُ النظر البلاغي على مستوى الكلمة وما فوقها إلى النّصّ ، فحيثُ حضرت هذه الأربعةُ في قولٍ فهو قول (أيّ نظر) بلاغي أيًا كان مجال النظر من فنون العلم . فالقول البلاغي (النظر البلاغي) ليس بمنحصرٍ في أسفار البلاغيين. بل انت واجده وفيرًا نضيرا في أسفار علم أصول الدين (العقيدة) وعلم أصول أحكام الشريعة(الفقه) وعلم أصول فقه الإحسان (التصوف السّلوكي الصّفاء من الهرطقة) وعلم النحو ، والأدب ونحو ذلك .

و«علم الوجوه والنظائر» مَعنيّ باستخراج معنى الكلمةِ وحدها دون ما فوقها، ومعني بالنّظر في السياق، دون الالتفات إلى الاقتضاء والمطابقة، والأثر. فهو رافد من روافد العقلِ البلاغيّ . فحق على طالبِ العلم أن يكون ذلك العلم من مكوناته العلمية الرئيسة.

ويمكن لطالب العلم أن يُضيف إليه ربط كلّ معنى بسياقه وبيان ما يقتضيه ، وبيان أثرِه في المعنى الجمعي للتركيب، وأثر ذلك المعنى التّركيبيّ في متلقيه ، وذلك من خدمة هذا العلم الجليل ، وليكن لك من هذا نصيبٌ موفورٌ مشكورٌ عند ربك سبْحانه وَبحمدِه.

وجانب الوجوه من هذا العلم يلتفت إلى ما يعرف بالمشترك ، بينا يلتفت جانب النظائر إلى ما يعرفُ بالترادف.

فعلاقة «علم الوجوه والنظائر» بعلم المشترك والترادف في«فقه اللغة» علاقةٌ وثْقى ، فليكن علم «فقه اللغة» من روافد عقلك البلاغيّ الفعيل

وأوّل ما وصلنا - فيما أعلمُ - من كتب «علم الوجوه والنظائر» كتاب **أبي الحسن : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزديّ ولاءً، البلخي(ت: ١٥٠هـ)** .وقد نشر محققًا ويذكر أنّ مولى ابن عباس - رَضيَ اللهُ عَنْهُما – يدعى " عكرمة"(ت: ١٠٥هـ) له كتابٌ في ذلك بيْدَ أنّ الكتاب لم يصل إلينا.

وحقّ على العقلِ البلاغيّ العربيّ أن يستعيدُ إلى فسْطاطه ذلك العلم، فهو به أحقُّ ليكمله ، فما يزال هذا العلم فطيرًا ،ولعلّي أجد في طالب العلم من يقُوم لذلك ، فأعينه إرشادًا إنْ شاء الله تعالى.

يقول ﷻ:(وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) [آل عمران:٥٠ - ٥١] {وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}[الأنعام:٣٧] {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ} [الأنعام :١٠٩] {وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى}[طه:١٣٣] {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ *وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ} [القمر :١ - ٣]

ولكلمة "آية" وجوه أخر قد تأتي بعنى "علامة" كما في قوله ﷻ: (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ}[آل عمران:٤١]

وقد يعبر عنها بـ«البرهان»(١):{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا}[النساء:١٧٤] والبرهان بمعنى الحجة القاطعة المعصومة من النّقد والرّدّ .

---

(١) يقول الرّاغب (ت : ٥٠٢هـ) في " المفردات":«البُرْهَان أوكد الأدلّة، وهو الذي يقتضي الصدق أبدا لا محالة، وذلك أن الأدلة خمسة أضرب:

- دلالة تقتضي الصدق أبدا.
- ودلالة تقتضي الكذب أبدا.
- ودلالة إلى الصدق أقرب.
- ودلالة إلى الكذب أقرب.
- ودلالة هي إليهما سواء.

قال تعالى: (قُلْ: هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) [البقرة/ ١١١] (قُلْ: هاتُوا بُرْهانَكُمْ هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ)[الأنبياء/ ٢٤] (قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ) [النساء/ ١٧٤] . »

ويقول ابن منظور (ت:٧١١هـ)في" لسان العرب :« البُرْهان الحُجّة الفاصِلةُ البَيِّنَةُ، يُقَالُ: بَرْهَنَ يُبَرْهِنُ بَرْهَنَةً إِذا جَاءَ بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ لِلَدَد الخَصم، فَهُوَ مُبَرْهِنٌ. ... وجَمْعُ البرهانِ براهينُ. وَقَدْ بَرْهَنَ عَلَيْهِ: أَقام الْحُجَّةَ. وَفِي الْحَدِيثِ:« الصَّدَقةُ بُرْهانٌ»لأ مسلم: الطهارة]

؛ البُرْهانُ: الحجّةُ وَالدَّلِيلُ أَي أَنها حُجَّةٌ لِطَالِبِ الأَجر مِنْ أَجل أَنَّها فَرْضٌ يُجازِي اللهُ بِهِ وَعَلَيْهِ، وَقِيلَ: هِيَ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ إِيمانِ صَاحِبِهَا لِطِيبِ نَفْسه بِإِخْراجها، وَذَلِكَ لِعَلاقةٍ مَا بَيْنَ النفْسِ والمالِ. »

فالمعنى المركزي في" البرهان" هو الوكادة والعصمةُ من النقض أو النقد. ففيه رائحة إبلاسٌ الخصم

(تنبيه : إذا ما ذكرت لك في الهامش معاني بعض الكلم في معاجم العربية فلا تنزعج،ولاتحسبن أن هذا تطويل واستطراد أو حشوٌ وتكاثر، كلّا، أنّما أنت طالب علم العربية وأول العلم بها علم معاني مفرداتها وتصريفتها، فلا تتغافل،ولا تبخلنّ على عقلك ما ينفعها، فسيدنا رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وصَحبِهِ وَسَلَّمَ ـ « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ ». (سنن أبي داوود- الزكاة) وفي رواية للحاكم في

قال تعالى (**وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)**[البقرة:١١١]

والبرهان أعم من «المعجزة» يقول ابن عطية في تأويل الآية:« قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ» **"البرهان" : الحجة النيرة الواضحة التي تعطي اليقين التام، »**

{فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [القصص :٢٩- ٣٢]

إلقاء العصا برهان أي معجزة، لأنّها من السحر الذي برعوا فيه، وفيه تحدٍّ لهم . فتحقّقت فيه شرائط المعجزة .

ويعربُ أيضا في القرآن عن المعجزة بقوله «**سلطان**»(١) ويراد به الحُجة :{هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}[الكهف:١٥](٢)

المستدرك،وللحميدي وغيرهما « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ»وعقلك مما تقوت وتعول، بل هوأولى وأفضل من كل ما تقوت وتعول . وإذا كان من هدي النبوة أن لجسدك عليك حقا، فإن لعقلك عليك حقوقا. فأوفها يوف لك.

١)يقول ابن فارس في" المقاييس"«(سلط) "السين واللام والطاء" أصلٌ واحدٌ، وهو القوّة والقهر. من ذلك السّلاطة: من التسلط وهو القَهْر، ولذلك سمّي السُّلْطان سلطاناً. والسلطان: الحُجّة. والسَّليط من الرجال: الفصيح اللسان الذَّرِب. والسَّليطة: المرأة الصَّخَّابة.».

٢) يقُول ابن الجوزي(ت: ٥٩٧هـ) في "نزهة الأعين":« السُّلْطَان: فعلان من السلاطة وَهِي الانبساط بِالْقُوَّة. وَذكر الْمُفَسِّرُونَ أَن السُّلْطَان فِي الْقُرْآن على وَجْهَيْن أَحدهمَا: الْملك والقهر. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيم: {وَمَا كَانَ لي عَلَيْكُم من سُلْطَان إِلَّا أَن دعوتكم فاستجبتم لي}] ، وَفِي سبأ: {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم من سُلْطَان} .

وَالثَّانِي: الْحجَّة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْأَنْعَام: {مَا لم ينزل بِهِ عَلَيْكُم سُلْطَانا} ، وَفِي هود: {وَلَقَد أرسلنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وسلطان مُبين} ، (وَفِي بني إِسْرَائِيل: {فقد جعلنَا لوَلِيِّه سُلْطَانا} ، وَفِي الرّوم: {أم أنزلنَا عَلَيْهِم سُلْطَانا} ، (وَفِي النَّمْل: {أَو ليأتيني بسُلْطَان مُبين}) ، وَفِي سُورَة الرَّحْمَن: {لَا تنفذون إِلَّا بسُلْطَان} . »(نزهة الأعين. ص: ٣٤٤)

وقد يعبر في القرآن عن المعجزة بـ«**البينة**»[1]

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ}[الأنعام:١٥٥ - ١٥٧] {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[الأعراف:٧٣] {حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}[الأعراف:١٠٥] {قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}[هود:٥٣]

[وَجهُ أعراب أهلِ العلم بمصطلحِ المُعجزةِ والإعجاز دُون مصطلح الآية،والبيّنَةِ والبُرهانِ والسلطانِ]

لما كان مصطلح" «الآية»«البرهان»«والسلطان »«والبينة» مما قد يؤول على ما لا يُفهم معنى الإعجاز رغب أهل العلم في القرن الثالث الهجري أن يسدوا الطريق على المشاغبين بالتّأويل ، فاتخذوا مصطلح «المعجزة» و«الإعجاز» فهذان مصطلحان يجهران بالمقصُود لما فيهما من معنى " التّحدّي" القاطع ألسنةَ المعاندين الصّادين أنفسَهم وغيرهم عن سبيل الله تعالى .

(زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}[الرعد:٣٣] {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}[محمد:١] {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . أُولَـئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ}[هود:١٩- ٢٢]

---

[1]) يقول الراغب في" المفردات" "«البَيِّنَة: الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة، وسمي الشاهدان بيّنة لقوله عليه السلام: «البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر» «٢» ، وقال سبحانه: (أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ)[هود/ ١٧] ، وقال: (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)[الأنفال/ ٤٢] (جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ) [الروم/ ٩] .».

فمعنى **الوضوح والجلاء هو مركز الدلالة** ، وهو الملتفت إليه في الإعراب عن المعجزة بالبينة ،ويبزم هذا الفصل بين الشيئين وفلا اشتباه ،ولا تداخل . وفي هذا تعريضٌ بمن لا يؤمن بالمعجزة، فهو من عَمَهِ الفؤاد بمكانٍ . وليس أنكى من أن يوضح المرءُ بِعَمَهِ القلبُ .

اقتضَى الاصطلاح أن يكونَ المصطلح العلميّ محكمَ الدِّلالة لا يحتمل التَّأويل ، وهذا ما كان باعثًا لأهل العلم إلى أن يتخذوا مصطلح "الإعجاز" و"المعجزة" وهذا فيه لتفت إلى أثر ما سمي بالمعجزة في المخاطبين بها، وفيه لفتٌ إلى وَجْهِ الإتيانِ بها . فأولئك العلماء لم يرغبوا عن المصطلح القرآنيّ – معاذ الله – وإنما أرادوا أن يُحكموا الدلالة سدًا لطريق المُشاغبة مِمَّنْ أدْمَنها .وهذا من خدمة العلم ألّا تدع للأخر منفذًا للمشاغبة.

والإعراب عن" المعجزة" في القرآن بأكثر من اسم ليس من قبيل " الترادف" الأجرد، بل كل اسم يلفتُ بمادته إلى سمة من سِمات "المعجزة" فحين يكون الشيءُ ذا خواصٌ متعدّدة قد لا تطيق كلمةٌ أن يبين عنها جميعًا على درجةٍ سواءٍ ، بل تُبين عنها على تفاوتٍ، ويُراد أن تكونَ في وَعي المتلقي على سواءٍ في إدراكها، يجعل لكلِّ سِمةٍ كلمةُ تكون أظهر دلالة على هذه السِّمة، ومن ثَم تَدرك حكمة الإعراب عن " المعجزة" بهذه الأسماءِ .

وهذا يهديك إلى ألا تسارع إلى تخطئة عالم أو تشغب عليه ، فليس ذلك هو العلم . العلم أن تبحث لمقالة العالم وجهًا من الصواب .ليس ديدنُ العالم التَخطئة، بل دَيدنُه التأويل الصحيح لما يسمع على وجه صحيحٍ ، فمن اتخذ الإسراع إلى التَّخطئة والتَّحريم مذهبا، فليس من أهل العلم الرّبانيّين.

والقرآنُ استعمل الكلم الّتي تلفتك إلى ما يتسمُ به ما يؤيد به الله تعالى من يرسلهم إلَى أقوامهم ليخرجوهم من الظلمات إلى النّور .

ومن المعهود أن الشَّيْءَ إذا تعدَّدت أسماؤه فذلك آية على تعدّد ما يجبُ أن يلتفت إليه منها. هذه الأسماء المتعددة في حقيقتها ليست اسم علم متجرد من ملاحظة الصّفة المشتقة من مادتها، بل هي إلى الصفة أقربُ منها إلى الاسم العلم الأجرد (١)

ومعنى «الآية» أوسع من معنى «المعجزة» فـ«الإسراء والمعراج » و«تسبيح الحصى في يمينه»«نبع الماء من بين أصابعه»ونحو ذلك آيات وليس بمعجزات، لأنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وصَحبِهِ وَسَلَّمَ – لم يتحدهم بها، ولأنَّها ليست مما برع فيه قومُه أو

(١) ألفتك بهذا أن الأشياء ذات الأسماء يكون واحدٌ منها علمًا لا يلحظ فيه معنى الصفة المأخوذة من مادته ، فإذا سمّيْتَ ولدك "عليًا" ، فالغالب ألا يلحظ في اسمه تحقق صفة العلوّ فيه ، هذا في أسماء المخلوقات خلا سيدنا رسُول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وصَحبِهِ وَسَلَّمَ** – أما سائر الأسماء الأخر فهي صفات. فالأسد له اسم واحد علم، وبقية أسمائه صفات. وهكذا سائر المخلوقات.

غيرهم . والمعجزةُ شرطُها أن تكون ممّا بَرَعَ وفاقَ فيها قومُ النّبيّ ، وأن يتحدّى بها،وهذان شرطان مفقودان في هذه الآيات

فسيدنا رسُول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وصَحبِهِ وَسَلَّمَ – له معجزة واحدة هي «القرآن» وله آيات عديدة هي «دلائل النبوة»أي آياتها جمع «دلالة» لا جمع «دليل»،وتسمى هذه الايات أيضًا (أعلام النبوة) (١)

*****

[مُسْتَمَدُّ المدول الاصطلاحي من المعنى الوضعي لمادة "عجز"]

وهذان المُصْطَلَحَيْن : الإعجاز والمعجزة" مُسْتَمَدَّان مِن مَادَّة «ع. ج . ز» وعمود المعانى في ما اشتقَ من هذه المادّةِ " التَّأخر" وهو يَتَنَوَّعُ بتنوّع الصّيغةِ. والفعلُ من هذه المادة لازمٌ يتعدي بالهمزة "أَعْجَزَ" أو بتَضْعيفِ " عَينَ" الفعلِ : "عجّز" والتَّضعيفُ أدلّ على قُوة الحدثِ.

وهذه المادةَ جاءتْ بعضُ مفرداتها في القرآن والسّنّة:

قال تعالى : (كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) [القمر: ٢٠] قال تعالى:(أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ) [المائدة/ ٣١] .وأَعْجَزْتُ فلاناً وعَجَّزْتُهُ وعَاجَزْتُهُ: جعلته عَاجِزاً. قال: « وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ » [التوبة/ ٢] « وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ» [الشورى/ ٣١]

---

(١) يقُول ابن الجوزي(ت: ٥٩٧هـ): « ... ذكر بعض الْمُفَسّرين أن الْآيَة فِي الْقُرْآن على سِتَّة أوجه: -

أحدهَا: الْعَلامَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الرّوم: {وَمن آيَاته أَن خَلقكُم من تُرَاب} {وفيهَا} {وَمن آيَاته أَن تقوم السَّمَاء وَالْأَرْض بأَمْره} ، وَفِي يس: {وَآيَة لَهُم أَنا حملنَا ذُرِّيتهمْ فِي الْفلك المشحون} ، وَفِي حم السَّجْدَة: {وَمن آيَاته أَنَّك ترى الأَرْض خاشعة، فَإِذا أنزلنَا} ، أَي: عَلامَة تدل على وحدانيته [تَعَالَى] .

وَالثَّانِي: المعجزة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْقَصَص: {فَلَمَّا جَاءَهُم مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَات} ، وَفِي الْقَمَر: {وَإِن يرَوا آيَة يعرضُوا} .

وَالثَّالِث: الْكتاب. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْمُؤمنِينَ: {قد كَانَت آياتي تتلى عَلَيْكُم} ، أَي: كتبي.

وَالرَّابِع: الْأَمر وَالنَّهْي. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: {كَذَلِك يبين الله لكم الْآيَات} .

وَالْخَامِس): الْعبْرَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي النَّحْل: {إِن فِي ذَلِك لآيَات لقوم يُؤمنُونَ} . وَفِي الْمُؤمنِينَ: {وَجَعَلنَا ابْن مَرْيَم وَأمه آيَة} ، وَفِي الْفرْقَان: {أغرقناهم وجعلناهم للنَّاس آيَة} ، وَفِي العنكبوت: {فأنجيناه وَأَصْحَاب السَّفِينَة وجعلناها آيَة} ، وَفِي الْقَمَر: {وَلَقَد (١٢ / أ) تركناها آيَة} .

وَالسَّادِس): الْجُزْء الْمَحْدُود من الْقُرْآن الْمُسَمّى آيَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَى فِي الْبَقَرَة: {مَا ننسخ من آيَة أَو ننسها} ، فِي الرَّعْد: {المر تِلْكَ آيَات الْكتاب وَالَّذِي أنزل إِلَيْك من رَبك الْحق} ، فِي يُوسُف: {الر تِلْكَ آيَات الْكتاب الْمُبين} وَفِي النَّحْل: {وَإِذا بدلنا آيَة مَكَان آيَة} . »

(نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي ،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت(ط:١) عام/الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ. ص: ١٥٤-١٥٦ .

« وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنا مُعاجِزِينَ» [الحج/ ٥١] ،وقرئ: مُعْجِزين [1] فَمُعَاجِزِينَ قيل: معناه ظَانِّين ومقدّرين أنهم يُعْجِزُونَنَا، لأنهم حسبوا أن لا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب، وهذا في المعنى كقوله:« أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونا » [العنكبوت/ ٤] ، و«مُعَجِّزِينَ»: يَنسُبُون إلى العَجْزِ مَن تَبِعَ النبيَّ ﷺ وذلك نحو: جهّلته وفسّقته، أي: نسبته إلى ذلك. وقيل معناه: مثبّطين، أي: يثبّطون الناس عن النبيّ ﷺ [2]،كقوله:« الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » [الأعراف:٤٥] . وَالعَجُوزُ سمّيت لِعَجْزِهَا في كثير من الأمور. قال تعالى:«إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ» [الصافات: ١٣٥] وقال:« أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ» [هود: ٧٢] »[3]

وكلمة «معجزة» بصيغة اسم الفاعل تطلق على ما به يكون الإعجاز ، و«التاء»في آخره للمبالغة كمثل التي في قولهم «علّامة» أي أنّها بلغت حد الكمال في الصفةِ والإنباء عن المبالغة في تحقق الصفة في الموصوف بـ«التاء» التي أصلها للتأنيث إيماءً إلى أن الكمال قد جاوز حدّ المعهود .

والمدلول الاصطلاحي للمعجزة عند أهل العلم :

يقول ابو المظفر الإسفرايئيني (ت: ٤٧١هـ) : «والمعجزة فعل يظْهر على يَدي مدعي النُّبُوَّة بِخِلَاف الْعَادة فِي زمَان التَّكْلِيف مُوَافقا **لدعواه وَهُوَ يَدْعُو الْخلق إِلَى معارضته ويتحداهم أَن يَأْتُوا بِمثلِهِ** فيعجزوا عَنهُ فيبين بِهِ صدق من يظْهر على يَده »[4]

هذا التعريف ذو اركان :

فعل يظْهر على يَدي مدعي النُّبُوَّة

بِخِلَاف الْعَادة

فِي زمَان التَّكْلِيف

مُوَافقا **لدعواه**

وَهُوَ يَدْعُو الْخلق إِلَى معارضته ويتحداهم أَن يَأْتُوا بِمثلِهِ فيعجزوا عَنهُ

---

[1]) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو بن العلاء. انظر: إرشاد المبتدي ص ٤٥٠

[2]) انظر: الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٢٣.

[3]) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي ،الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ/ (مادة" عجز)(ص :٥٤٧- ٥٤٨) [بتصرف]

[4]) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ،المؤلف: طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (ت: ٤٧١هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت ،الناشر: عالم الكتب – لبنان (ط:١) عام: ١٤٠٣هـ. (ص: ١٦٩)

وانظر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضيةالمؤلف: شمس الدين،السفاريني محمد بن أحمد بن سالم السفاريني (ت: ١١٨٨هـ) الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ،(ط:٢)عام ١٤٠٢ هـ . (ج٢/ ٢٨٩ – ٣٩٢)

فيبين بِهِ صدق من يظْهر على يَده

****

وجاء التحدّي بالقرآن في آياتٍ عدة .وهي ذات ترتيبين: ترتيب نزول ،ترتيب ترتيل

أولًا: ترتيب التلاوة:

يقُول الحق - سُبْحَانَهُ وَتعالَى :

{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا **فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ** وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[البقرة:٢٣]

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ **فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ** وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[يونس:٣٨]

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ **فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [هود:١٣]

{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن **يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ** لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء:٨٨]

{أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ** إِن كَانُوا صَادِقِينَ}[الطور:٣٣- ٣٤]

ثانيًا: ترتيب النزول:

{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن **يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ** لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء:٨٨]

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ **فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ** وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[يونس:٣٨]

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ **فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [هود:١٣]

{أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ** إِن كَانُوا صَادِقِينَ}[الطور:٣٣- ٣٤]

{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا **فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ** وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[البقرة:٢٣]

الأربعة الأُول مكية، والأخيرة مدنية. والإخيرة (آية البقرة) حديثٌ إلى من كان في قلبه ريبٌ مِن أنّ القرآنَ من عند الله تعالى. والأربعة الأول (المكيات) للعامة .(١)

---

(١) يحسن بك طالب علم أن تقرأ مستبصرًا كتاب«دلالة المثلية في آياتِ التحدّي . دراسة بيانيةٌ ناقدة» للإستاذ الدكتور سعيد جمعة نشر نكتبة العلم والإيمان للنشر والتوزيع – ميدان المحطة – دسوق. ففيه ما لا يرغب عنه عقلٌ .

وكان التّحدي على سبيل التدرج ، تحداهم أولًا به ثم بعشر سورٍ ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله . وما أجابوا.

أتراهم حاولوا فيما بينهم فأيقنوا أنّهم لا يطيقُون وإن تظاهروا أمْ أنّهم بمجرد سماعهم القرآن قنطوا من أن يطيقُوا لعلمهم بحالِهم ، وبشأنِ ما سمعوه من القرآن،وهم فرسان البيان ؟

يذهب العلّامة الطاهر ابن عاشور ﷺ إلى أنه « لَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ انْثَالَتْ عَلَى كُلِّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ بُلَغَائِهِمْ مِنَ النُّكَتِ الَّتِي تَفَطَّنَ لَهَا مَا لَمْ يَجِدْ مِنْ قُدْرَتِهِ قِبَلًا بِمِثْلِهِ، **وَأَحْسَبُ** أَنَّ كُلَّ بَلِيغٍ مِنْهُمْ قَدْ فَكَّرَ فِي الِاسْتِعَانَةِ بِزُمَلَائِهِ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ فَعَلِمَ أَلَّا مَبْلَغَ بِهِمْ إِلَى التَّظَاهُرِ عَلَى الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ فِيمَا عَهِدَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ ذَوْقِ زَمِيلِهِ.

هَذَا كُلُّهُ بِحَسَبِ مَا بَلَغَتْ إِلَيْهِ قَرِيحَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْ سَمِعَ الْقُرْآنَ مِنْهُمْ مِنَ التَّفَطُّنِ إِلَى نُكَتِ الْقُرْآنِ وَخَصَائِصِهِ. وَوَرَاءَ ذَلِكَ نُكَتٌ لَا يَتَفَطَّنُ إِلَيْهَا كُلُّ وَاحِدٍ، **وَأَحْسَبُ** أَنَّهُمْ تَآمَرُوا وَتَدَارَسُوا بَيْنَهُمْ فِي نَوَادِيهِمْ أَمْرَ تَحَدِّي الرَّسُولِ إِيَّاهُمْ بِمُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ وَتَوَاصَفُوا مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ بَعْضُ آيَاتِهِ الْعَالِقَةِ بِحَوَافِظِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ مِنَ النُّكَتِ وَالْخَصَائِصِ وَأَوْقَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى مَا لَاحَ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْخَصَائِصِ، وَفَكَّرُوا وَقَدَّرُوا وَتَدَبَّرُوا فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا إِنِ انْفَرَدُوا أَوِ اجْتَمَعُوا، وَلِذَلِكَ سَجَّلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ عَجْزَهُمْ فِي الْحَالَتَيْنِ فَقَالَ تَارَةً: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ [الْبَقَرَة: ٢٣] وَقَالَ لَهُمْ مَرَّةً: لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً [الْإِسْرَاء: ٨٨] فَحَالَةُ اجْتِمَاعِهِمْ وَتَظَاهُرِهِمْ لَمْ تَكُنْ مَغْفُولًا عَنْهَا بَيْنَهُمْ ضَرُورَةَ أَنَّهُمْ مُتَحَدَّوْنَ بِهَا. »(١)

وهذا يُفهم أنّهم حاولوا المعارضة فأدركوا بأنفسهم أنّهم عاجزون، فهم صَمدوا للتحدّي وحالوا ولكنّهم أيقنوا بالعجز المُبين ، فكفّوا ، واختاروا سبيل المواجهة بالسيف ، فذلك أيسر عَليهم من أن يأتوا بسورةٍ من مثلِه.

ذلك محصل ما ذهب إليه العلّامةُ الطاهرﷺ فالعجز قد تحقق بالتحدي والمحاولة والإخفاق ، فتسميتها معجزة تسميةٌ مطابقيّة.

ويذهب الشيخ أبو فهر محمود محمد شاكر ﷺ إلى أنهم لم يحالوا، بل ما إن سمعوا وهم فرسان البيان أُبلسوا وقنطوا أن يكون منهم أجمعين سورة مثل سورة من القرآن في

---

(١) التحرير والتنوير : المقدمة العاشرة ج:١ص :١١١- ١١٢

بلاغتها ، فكَفوا ، وما حاولوا، ولذا ذهب إلى أن الأَوْلَى أن يقال «إبلاس» لا إعجاز و«مبْلسة»لا معجزة. (1)

******

(مذهب الشيخ محمود شاكر في مصطلح الإعجاز)

يقُولُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن ذريته- :

«الأمرُ ليسَ "عجزًا" من الخلائق عَن فعلٍ طُولبوا بِمثلِهِ ، فعجزوا ، أو يتوهَّمنَ توهمًا أنهم لَو أرادوا لعجزوا عَنه، بلْ هو «إِبلاسٌ» محضٌ مِن جميع الخلائقِ ، ودهشٍ وسكوتٍ ووجوكٍ وإطراقٍ أخذَتْه مباغتةُ " الآية" عند المعاينةِ ، ثُمّ تسْليمٌ قاطعٌ اَسْتيْقنهُ النُّفس بأنّها فعلٌ ممتنعٌ ممتنع أصلًا علَى هذا النَّبيّ وعلى جميعِهم بلا ريب يُخامرها في ذلك ...

" العجزُ" ضَعفٌ يُدركه المرءُ من نفسِهِ عند بذلِ جهدٍ ومعالجة.

و"الإبْلاس" إحسَاسٌ غامرٌ بالحيرةِ والدهشِ والانقطاعِ تمنعُ المرء عن كلّ جهدٍ ومعالجةٍ ، فهذا فرقُ ما بيْنَ" العجز" و"الإبلاس"..» (2)

لا تحسِبنَّ أنَّ الشّيخ شاكر يَدعوك إلَى أن تدَع ما جرَى عليه أهلُ العلم مِن الإعراب بمصطلحِ "العَجزِ، والمُعجزةِ ، والإعجازِ" وإنّما هو مبينٌ لك عن حقائقِ المَعاني حتَّى لا تحسِبنَّ أنَّ العرب قد حاولوا فعجزوا، فهذا مخالفٌ للواقعِ وهذا – أيضًا- فيه أنّهم غيرُ مُبصرين فرقَ ما بيْن ما سَمعُوا من القرآن ، وما هُم بِه مفتخرون منْ إبداعِ أجدادِهم شعرًا.

يقُول: «الألفاظُ الّتي تسْتقِرّ في اللغةِ اسْتقرارًا شَاملًا مُستفيضًا يكونُ من الجهلِ والتَّهوّرِ مُحاولةُ انتزاعها وإسقاطِها من أقلامِ الكتَّاب، ومنْ كتبِ العلماءِ قديمًا وحديثًا (3) بلْ الواجبُ الّذي لا مِريَةَ فيهِ هو محاولةُ تعريفها تعريفًا مطابقًا للحقّ ؛ لأنَّ الّذين وضعوها،

---

1) يقُول ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور في ممعجم" لسان العرب" (كتاب السين باب : الباء. ماة" بلس": «(بَلس) أَبْلَسَ الرجلُ قُطِعَ به ... وأَبْلَس : سكت ، وأَبْلَسَ من رحمة الله تعالى: أي يَئِسَ ونَدِمَ ومنه سمي إبليس ... وفي التنزيل العزيز :« يومئذ يُبْلِسُ المجرمون» [الروم:12] وإبليس - لعنة الله تعالى - مشتق منه لأنه أُبْلِسَ من رحمة الله أي أُويِسَ ... والمُبْلِسُ اليائسُ ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب قد أَبْلَسَ ...وقال أبو بكر : " الإِبْلاسُ : معناه في اللغة القُنُوط وقَطْعُ الرجاء من رحمة الله تعالى »[بتصرف]

2) مداخل إعجاز القرآن. محمود محمد شاكر.الناشر: مطبعة المدني القاهرة ، دار المدني بجدة (ط:1)عام: 1423:(ص45 – 46)

3) ذلك فيما لا يخالف شيئًا من العقيدةِ وأحكام الشريعة، فإن كان ثَم لفظٌ يقدحُ في العقيدة، أو الشريعة،فالانصراف عنه فريضة،واستبدال غيرِه الحكيم به.

وكتبوها في كتبهم ومصنفاتهم وضعُوها وَضعًا مطابقًا لحقِّ رأوْه ،لا نخالفهم نحنُ في جوهرِهِ ، وإن خالفناهم في وجوه النَّظرِ الَّتي أوجبتْ عليْهِمْ وَضعَ هذه الألفاظ. ومَا دامَ مجازُ اللغةِ (١) قادرًا على تعريفِ اللفظِ تعريفًا يرْفعُ أسبابَ الاختلافِ ، ويسير بنا جميعًا على طريقٍ مُسْتَتِبٍ فلا معنى لإبطالِ ما استقرّ عليْهِ الكتابُ والعلماءُ من التعبيرِ عن الجوهرِ المتفقِ عليْهِ »(٢)

******

[الفرقُ بين الإبلاس والصَّرفة]

إذا ما كان الشيخُ محمود شاكر ذهب إلى أنّ حقيقة حال العبادِ إزاء مُعارضة القرآن إنّما هو الإبلاس فما علاقةُ الإبلاسِ بالصَّرفة التي قال بها بعضَ السابقينِ مِن المعتزلةِ وغيرِهم. أهما سواء ؟

العلمُ بشأنِ الشيخ شاكر حجازٌ عن أن يكونَ الإبلاس الذي يقُول بِه والصرفة بمفهومها عند من يقُول بها سواء .

الصرفة عندهم أمرٌ قائمٌ من قهرِ الله ﷻ العباد ومنعهم من أن يفعلوا ما كانوا قبل يفعلون ، ولو خلّى بينهم وبين ما كانوا عليهِ قبلَ نزول القرآن لكان لهم أن يقولوا مثلَه. وبهذا لا يكون بيان القرآن هو المعجز ، بل المعجز هو مَن أنزل القرآن ﷻ فليس في بيانِ القُرآن ما لا يستطاعُ الإتيان بمثلِه.

وبهذا يكون وصف القرآن بأنه مُعجزٌ ليس على الحقيقةِ ، بلْ هو من قبيل المجاز أيْ وصف بما هو حقّ أن يوصَف بِه منزله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما" الإبلاس" فهو كما يقُول الشيخ :« إحسَاسٌ غامرٌ بالحيرةِ والدّهشِ والانقطاعِ تمنعُ المرء عن كلّ جهدٍ ومعالجةٍ » وذلك أتيه من القرآن نفسِه عند سماعِه . فالقرآن هو المُبْلس بما فيه من الخواص القائمة في معانيه التي لا يمكن أن تكون إلا من اللهِ تعالى ومن الإعرابِ عن تلك المعاني بنظمٍ لا يكونُ إلا من الله القرآن ﷻ فهو معانيه ونظمه مبلسٌ مقيم سامعه في حيرةٍ ودهشٍ وانقطاعٍ أن تحدثه نفسَه أن ذلك الذي يسمع يمكن أن يؤتى بمثلَه أو بما هو قريبٌ منه .

---

(١)لا يريد الشيخ بقوله" مجاز اللغة" المجاز المقابل للحقيقة عند البلاغيين،وإنما يريد به : طريقُ دلالة اللفظ على المعنى،وهو مفهومه عند ابي عبيدة في كتابه" مجاز القرآن" وهو المعنى الذي كان يستعمله فيه أهل العلم في القرون الأولى ، فالمجاز بمعناه المثابل للحقيقة عند البلاغيين إنما كان في القرن الثالثِ الهجري.

(٢) مداخل إعجاز القرآن(م.س) ص ١٨- ١٩

فالقرآن في معانيه ونظمها من الدقائقِ واللطائفِ والطرائف التي لم يسمع بها أحد قبلُ ما يأخذ بأيِّ نفس أن تحدث بأن هذا يمكن للعالمين إن تظاهروا أن يأتوا بشيءٍ مثلِه.

فامر الإبلاسِ راجع إلى القرآن معانيه ونظمها لا إلى قهر منزله المتكلّم بهِ ﷻ

والقول بالصرفة لا يليقُ معها أن يقومَ الناس بدراسة بيان القرآن ؛لأن بيانَه ليس فيه ما يستحق ذلك، فهو بيان كأي بيان إلّا أن المتكلم به سلط قهره على العباد فصرفهم عن ان يأتوا بمثله. وعلى هذا يكون القولُ بالصرفة محاجزٌ عن تدبر القرآن ،مناقض لقول الله تعالى « كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَاب} »[ص:٢٩] فلا معنى لوصفه بأنه «مبارك» ولا لقوله «ليدبروا»و«ليتذكر» فبيانُه ٠ على القول بالصرفة كمثل أيِّ بيانٍ،وفي هذا تكذيبٌ للقرآن ،ومناقض لقول الله تعالى :{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}[النساء:٨٢] {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد:٢٤]

أما القول بالإبْلاس فباعثٌ على أن يسعى كلُّ رشيدٍ سَميعٍ بصيرٍ إلى أن يبصرَ شيئًا من جلالِ وجمالِ بيانه الذي أبْلسه فلا تحدّثه نفسُه مما فيه من كمالِ الجلالِ والجمال معنًى ونظمًا أن ذلك يُمكن للنّاس إذا تظاهروا أن يأتوا بسورةٍ منْ مثلِه

كذلك تتبيّن لك المفارقةُ الشّسِيعة بين القول بالصرفة عند جمهرة المعتزلة وأشباههم، وبين الإبلاسِ الذي اصطفى الشيخ شاكر القولَ به.

ومعتمد الشيخ محمود شاكر في قوله بالابلاس أنه لايري أنّهم حاولوا وتعاونوا على أن يأتوا بسورةٍ كما ذهب إليه الطّاهر ابن عاشور ذلك أن الشيخ شاكر يذهب إلى أنهم من قوة عرفانهم بالفارق بين ما سمعوا، وما يمكن أن يطيقوا قوله متظاهرين حاجزهم عن أن يحاولوا لعلمهم القطعي أنّه لا يمكن أن يدّعى شيْءٍ مثل سورة من القرآن ، وهم أمناء في بيانهم لأنه شرفهم ومناط فخرهم . ومن ثم ذهب إلى أن المصطلح الأحق هو مصطلح«الإبلاس» لا مصطلح«الإعجاز»إلا أنه أوصى بالحفاظ على ما درج عليه أهلُ العلم درْءًا للتشتت، فجزاه الله تعالى خيرا،وتلك من حكمة أعيانُ العلماء،وهو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – فيم أمام.

****

[أصل التركيب المراد بقولنا :"إعجاز القرآن"]

قولهم «معجزة» بصيغة « اسم فاعل» من الفعلِ " أعجز" المتعدّي لمعمولِه بـ"الهمزة" وأنّها " ما يُعجَزُ عن الإتيان بمثلها" وأنّ "الإعجاز" مصدر الفعل"أعْجز" فقولنا «إعجاز القرآن» من قبيل إضافةِ المصدرِ إلى ما به يكون الإعجاز لا إلى فاعله لأنَّ الله تعالى هو الذي أعجز بكلامه : القرآن.

فأصل العبارة إعجاز الله تعالى بالقرآن العالمين أن يأتوا بسورة من مثله في بلاغتها. فلدينا معجزٌ [اسم فاعل] هو الله تعالى، ومعجَزٌ [اسم مفعول] وهم العالمون، ومعجَز به،وهو القرآن، ومناطُ إعجاز وهوبلاغته.

وقولنا «الإعجاز القرآني» من قبيل نعتِ الشيْءِ بما هو به.

وفي نعت "المصدر"الإعجاز" بأنّه "قرآنيّ" إيماءٌ إلى شمول الصفةِ الموصوف وامتزاجه به امتزاجًا لا يفترقان بتة ، فحيثُ كان قرآنٌ كان إعجازٌ .

وهذا أليق بمن ذهب إلى أنّ سيدنا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وصَحبِهِ وَسَلَّمَ – لِيس له من خوارق العادات **<u>الّتي تحدى بها جهارةً</u>** إلا القرآن، وله خوارق **<u>لم يتحدَ بها جهارةً</u>** لجعله الجهارة بالتّحدّى ركنا من أركان مفهوم المعجزة. فتكون المعجزة برهانًا ،وتكونُ الخوارق الأخر التي **<u>لم يُتحدَ بها جهرًا</u>** دلائل نبوة أوْ أعلام نبوة .

[الفرق بين القرآن آية معجزة،وسائر آياته ﷺ أخر]

القرآن يفارقُ – أيضًا - سائر دلائل نبوّة سيدنا محمدٍ ﷺ أن القرآن هو الآية الخالدة الباقية بقاء الحياة، غير مرهونة بزمانٍ أو مكان أو جنسٍ ، وهي الآية العقلية العلميّة ، بينما الآيات الأخر آيات حسيّة وقتيّة غير خالدةٍ .

وآيات نبوة سيدنا محمد ﷺ الأخرى غير القرآن لم تكن من جنس ما برع فيه قومه العرب. كنبع الماء من بين أصابعه ، وحنين الجزع ....إلخ

والقرآن آيةُ **<u>معجزةٌ مؤسِّسةٌ للإيمان</u>** ،وسائرُ آياتهﷺ وهي جد كثيرة إنما هي **<u>مُرسّخة مجدِّدة مؤكدة للإيمان</u>** .

وهذا فرق وظيفيّ بين القرآن معجزة ، وسائر آياته ﷺ

والحقَ أنَ كلَ أمرِ سيّدنا رسول الله ﷺ خارقٌ للعادة، لاسبيل لأحد من العالمين أن يكون كمثله فيه .فهو ﷺ كامل الجلالِ والجمالِ.
أتـرى في العالمين كل العالمين من يصلح أن يقول فيه خالقه :« وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ» [القلم:٤] أليس قوله تعالى ففي حقه ﷺ خارق للعادة،ولو شاء ﷺ أن يتحدى بذلك لما كان لأحد من العالمين أن يرفع رأسَه.لذا أذهب على بصيرة أنّ سيّدنا رسول الله - ﷺ هو في جميعِ أمرِه معجزةٌ وآية وبينةٌ وبرهانٌ وسلطان. ﷺ

★★★★★

[المُعجزة بين الحسية والعقلية]

[أنواع المعجزة]

المعجزات ضربان: معجزةٌ حسيّة، ومعجزةٌ معنويّة .

المُعجزات الّتي جاءتْ بها الأنبياء قبل سيدنا محمّد ﷺ إنّما هي معجزاتٌ حسيّة، باقية ببقاء ما كانتْ فيهم . وهي حجةٌ على مَن شاهدها. فمعجزات الأنبياءِ خلا سيدهم ﷺ حسية انتهتْ بانتهاء زمانهم. وهي موافقة حالهم. وهي من جنس ما برعوا فيه، حتى يستقيم التحدّي.

ولم يبقَ في زماننا معجزةٌ من معجزاتِ الأنبياء السابقين،والذين انتفعوا بها من شاهدوها أو سمعوا من ثقاتٍ بها فصدقوها تصديقَ من شَاهدها.

وسيدنا محمد ﷺ قد جمع له بين أنواع المعجزات ، وذلك لم يكن لنبيّ قبلَه، ولكن رسُولَ الله ﷺ لم يتحدَ الكافرين به إلا بالقرآن ،وهو المعجزة المعنوية القائمة إلى يوم القيامة.

أما التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم،وزبور داود – عَليهم الصلاةُ والسّلام - فجمعٌ من أهل العلم لا يقُولون بأنّها معجزة؛لأنّ نبيّ كلَّ كتابٍ لم يتحدَّ به قَومَه ،ويجعله آية على صِدقِهِ في إخباره بنبوتِه ورسالتِهِ ، بناء على أنّ الشَّرطَ عِندهمْ في المعجزةِ التّحدّي، فإن فُقِدَ وكان خارقًا للعادةَ في نفسِهِ، فلا يسمّى معجزة عندهم ، ولو تحداوهم بها لكانتْ معجزة، فلعدم التّحدّي بها لا يقولون إنها معجزة

***

[وجْهُ عدمِ التّحدّي بالتّوراة والإنجيل والزّبور وصحفِ إبراهيم عليهم الصّلاةُ والسلام]

لَم يتحدّ الأنبياءُ السّابقين سيدنا رسول اللهﷺ أقوامهم بما نزل عليْهم من كتب وصحف ، لِما أنّ هذِه الكتبَ إنما هي بيانٌ وأقوامهم لم يبْرعُوا فيه ، ولا يُتحدّى أحدٌ إلّا بما هو بارعٌ فيه، فلا يتحدّى أحدٌ من كانَ مقطوعَ الرّجلين أنّه لا يعطسُ بغبارِه . وإنّما يتحدّى بهذا من كان مشهودًا له بأنه البارِعُ في العدو.

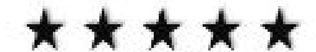
والّذِي أذهبُ إليْه أن الكُتبَ السّماوية المنزلة على الأنبياء السّابقين على زمانِ سيدِنا محمّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيهِم وَسَلَّمَ – إنّما هِي فِي نفسِها وبيانِها وما حَوتْه مِن الهدَى خارقةٌ للعادة ، لو أراد العالمون أن يقول شيئًا مثلها ما استطاعوا . إنّما هي كلام الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – وكلامُه معجزٌ وهو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – ليس كمثله ذاتًا وصِفةً وفعلًا شيءٌ ،وكلامُه صِفتُه .

*****

يقُول الأستاذ الخطيب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - :« والمعجزة إما حسيّةٌ تُجابه الحواسَ وتتحدّى القُدر، وأغلبُ المعجزات التي سبقتْ معجزة نبي الإسلام ﷺ كانت من هذا النوعِ أي أنها كانت تقع في مجالِ الحسّ وخاصّة حاسة البصر، حيثُ إنّها في هذا المجالِ تتكشفُ للناس على صورة تكاد تكونُ واحدةٍ لا اختلاف عليها بينهم ...

وإمّا أن تكونَ المعجزةُ عقليةً تواجه العقلَ ،وتلقاه بِكلّ ما فيه من قوَى الإدراكِ والاستبصار .

وهذا النوعُ من المعجزاتِ العقلية لايقعُ من الناس موقعًا متقاربًا ،وإنما يلقاه كل إنسانٍ بما لديه من إدراكٍ وفهمٍ وقدرةٍ على التمييزِ بيْن المدركاتِ والتفرقة بين الخيرِ والشر.»(١)



١) الاعجاز في دراسات السابقين ، الاستاذ عبد الكريم الخطيب ,ص ٨٧ -٨٨

المحـور الثَّـاني
[وجه تعدد الآيات وتنوّعهـا]

روى الشيخان البخاري ومسلم بسنديهما عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - « مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِىَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَىَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

ذلك النبأ النبوي الجليل هاديك إلى أمريْن كليين:

[الأمـر الأوّل]:

أن سيدنا محمد ﷺ اختص من بين الأنبياءِ جميعا - عَلَيْهِم السَّلامُ – بأن كانت آيته وحيا يتلى في كل عصر إلى قيام الساعة مما يجعله أكثرهم تبعًا.

[الأمر ألاخر]: أنَّ الله تعالى لم يرسل للناس نبيًا إلا وقد أيّده بآية أو أكثر عليها يؤمن البشر، فهي من القوة والوضوح والصدق ما يرغم أنف كلّ ذي أنف، فالآية برهان صدق النّبيّ في ما جاء به، وأنّه من عند الله تعالى ، ورسولُ الله سيدنا محمد ﷺ واحدٌ منهم له ما لهم.

لكلّ نبيٍّ آيتُه الّتي تخصُّه وتطابق شأن قومِه، وهم ليسوا سواء في عدد الآيات، فهنالك أقوامٌ كانتْ آيات أنبيائهم كثيرةً ومتنوعة كسيدنا موسى وعيسى -عَليهما السلام – وكلما كان قوم النبيّ ذوى عنتٍ كانت آيات النّبيّ أكثر.

وجميع آيات الأنبياء قبل سيدنا محمّد ﷺ كانت حسية منحصرة في زمانهم وبلدانهم ، بَيْنا سيدُنا رسولُ اللهﷺ كانت معجزته عقلية باقية خالدة إلى يوم القيامةِ .

ولم يأت نبيٌّ بآية نبيٍّ آخر فلو كانتْ آيتُهم جميعًا واحدةً على اختلاف أقوامِهم وأزمانِهم لكان هذا مخالفًا للحكمة ، وكان دالًا على عجز الله ﷻ ثم إنَّ تأثيرَها لا يكونُ فَعيلا. فحكمة الله تعالى وقدرته اقتضت أن يجعلَ لكلّ نبيٍّ آيتُه،أو آياتُه ولكل قوم ما ينفعهم ، ويُعينُهم على أن يهتدوا إذا لم يستكبروا .

لوأنَّ عصا سيدنا موسى - عَلَيْهِ السَّلامُ - كانت آيةً لكلّ نبيّ لفقدت تأثيرها، وَلَشُغِبَ على النَّبِيِّ بأن هذا توارثه عن سابقيه ، وليس من عند الله تعالى ، وبذلك تبطل فاعليَّة الآية .

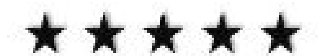
وتكرارُ الآية الواحدة مع كلِّ الأنبياء يوهم أن الله ﷻ عاجز عن أن ينوع ،فيأتي بآية جديدة ، فلا تؤدِّي الآية وظيفتها. لهذا تعدَّدتْ الآيات وتنوعت مع كلّ نبيِّ.وفق علم الله وقدرته وحكمته .

وفرق بين شَانِ سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ وسائر الأنبياء - عَلَيْهِم السَّلامُ - : كل نبيِّ أوتي آية«معجزة» وكلّ رسولٍ أوتي آية وكتاب ، فالآية للنّبوّة ، والكتابُ للرسالة فكانت الرسل قبل سيدنا محمّد ﷺ لهم آياتٌ حسيةٌ ، ولكلٍّ كتاب ، ولم يكن الكتاب آية نبوةٍ أحدهم ، فما جاءت كتبهم للتّحدّي جاءت للهداية .([1])

بيْنا سيدُنا رسول الله ﷺ كان كتابه هو الآية الخالدة ، فهو معجزته وكتاب تشريعاته، فجمع بين الأمرين: الإعجاز والهداية

خصوصية لسيدنا رسول الله ﷺ أن جعلتْ آيته هي كتابه، بينا غيره من الرسل لم تكن كتبهم هي آياتهم «معجزاتهم»، وهذا يجعل المسلم في حال اهتدائه بالقرآن واقعا تحت سلطان العجز عن أن يأتيَ بسورة من مثله ، بل وواقعٌ تحت سلطان العجز أن يستفرغَ ما يقرأ من آيات من معاني الهدي ، وألّا يكون له في كلّ مرة يتدبر ما سبق تدبره معانٍ جديدةٌ مُجَدِّدَةٌ إيمانه

يقُول الأستاذ الخطيب:«واختلاف المعجزات في أجيال الناس هو مما اقتضته دواعي الحكمة التي جاءت المعجزات من أجلها. ذلك أنَّ النَّاسَ يختلفون أختلاف أزمنتهم وأمكنتهم ،وغذا كانتْ غاية المعجزة أن يَرَى النَاسُ فيها صدقَ الرسُولِ ،وقيامَ الدليلِ على صحة دعواه ، فكان لا بدّ أن تكونَ هذه المعجزة جارية على تفكير من تلقاهم وتتحداهم آخذة بعقولهم وقلوبهم....»([2])



[1]) أذهبُ على بصيرة أن كل الكتب والصحف السماوية صالحة لأن تكون آية نبوة،ومعجزة يتحدى كلّ نبي بكتابه أوصحفه،ولكن الله تعالى لم يجعلها كذلك ،لأن أقوامهم ليسوا أهل بيان كقوم سيدنا محمد ﷺ و لاذلك هي صالحة لأن تكون معجزة، لأنها كلام الله تعالى ،وكلامه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لا طاقة للعالمين أن يأتوا بمثله ، فالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم عَلَيهِم الصلاة والسلام لا يمكن لأيٍّ من العالمين أن يأتي بمثلها. فأنا أذهب إلى أنها خارقة لطاقة وقدرات العالمين في الإبانة بما تحويه من معاني الهدى .

وكلام الله تعالى في القرآن وغيره لا يطيق العالمون أجمعون أن يأتوا بمثله.فهو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – ليس كمثله ذاتا وصفة شيءٌ، وكلامه جلّ جلاله صفته. فالفرق بيم كلام الله قرآنا أو توراةأوأنجيلا أو زبوبرًا...وبين كلام غيره كالفرق بين الله والعالمين. {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[الإخلاص:٤]

[2]) الإعجاز في دراسات السابقين.ص٨٩

المحـور الثَّالث
هل المعجزةُ لازمةٌ للرسول؟

لما كان من شأن الإنسان الّا يصدق بكل ما يقال له، ولا سيما إن كان ما يُقال غير معهود، وكانوا يطلبون دليلاً على صدقِ ما أخبروا به ، كان كل رسُول بحاجةٍ أن تكون معه آية أوآياتٍ برهانًا على أنه الصَّادقُ في ما أخبر به قومه من أنَّه النبيّ المرسل إليهم من ربهم ليخرجهم من الظلماتِ إلى النور، فالآية البرهان المنزلة على أيّ نبيّ إنّما هِي في المقامِ الأول من فيضِ رحمةِ الله ﷻ بمن أرسِلَ إليهم النبيّ فكلُّ من ليس بأحمق سفيهٍ فيهم إذا ما جاءت الآية البرهان وتبصّر أيقن أنّ مَن جاءَ بها نبيٌّ مرسلٌ من عند الله تعالى على نحو ما أنت عالمٌ به من حال سيدتنا أم المؤمنين خديجة - رَضِيَ اللهُ عَنْها – وحال سيدنا ورقة بن نوفل ﵁ ،وحال سيدنا أبي بكر ﵁ وأوائل من آمن بسيدنا محمدٍ ﷺ ولولا الآيات المعجزات لما أمكن لرسول أو نبيّ أن يُحدث في قومه إصلاحًا ، وإخراجًا لهم من الظّلمات إلى النّور، ذلك أن ذلك الإصلاحِ والإخراج لا بدّ أن يؤسّس على ثقة النّاس في مَن يقوم بالإصلاح والإخراج ، وهذه الثّقة لا تتحقّق فيهم إلّا إذا كان معه ما يُؤكّد لهم أنّه من عند الله رسولٌ لهم أو نبيّ.

فالأقوام والرّسل معًا بحاجةٍ إلى الآية البرهان" المعجزة" ونحن أيضًا بحاجةٍ إلى مدارسة معجزات الأنبياء ليتكامل عرفاننا برحمة الله ﷻ ولطفه بعباده ، فإنه كما أخبر عن نفسه تعالى (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة:١٨٥]، (يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا) [النساء:٢٨]

فكما كانَ أقوام الرُّسل في زمانِهم بحاجةٍ إلى آياتٍ برهانًا على صدقِ رسلهم ، فنحنُ المؤمنينَ بهم في حاجة إلى مدارسةِ تلك المعجزات لا لنؤمن بها ، فنحنُ بحمد الله تعالى مؤمنون بها، وإنما لنستبصِر ما كان عليه الأقوام المعاندون لرسلِهم من الحمقِ والسَّفه والعَنَت والاستكبار . (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِين *أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُون * لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرون)[النّحل:١٠٧ -١٠٩]

وما عليهم أمثالهم في زمانِنا على الرَّغم من تقدّمهم في العلومِ والمعارفِ ، إلا أنّ ذلك التّقدم الحضاريِ والمدنيّ لم يكن له أثرٌ في قلوبِهم فما تزالُ قلوبهم كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[المائدة:٤١](إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * لاَ جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ) [النحل:٢٢-٢٥]

فنزدادُ عرفانًا بعظيمِ فضلِ الله تعالَى علَينا أن جعلَنا مؤمنين،وفي هذا ما يقوّي إيماننا، فإن شكر نعمة الإيمان ممّا يزيده رسُوخًا وصفاءً .

وفي مدارستنا الآياتِ البُرهانَ كذلك عونٌ لنا علَى أن نُبيِّنَ لِمَن لم يؤمن بعد في زماننا ما فيه هذه الآيات من برهان على صدق الرّسل فيما أخبرتْ به .فنكون سببًا في إخراجهم من الظّلماتِ إلى النُّور.

والله ﷻ يقول:(فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) [الزُّخرُف:٤٣ - ٤٤]

قوله تعالى (وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) فيه من الوعيد لمن لم يقم بالسّعي لأخراجَ النّاس من الظّلمات إلى النور ، فذلك افخراج عمود مهمة سيدنا رسول الله ﷺ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) [إبراهيم:١]

وإخراج واحد من الظلمات إلى النور إيمان واحتسابًا خير لك من حمر النعم روى الشّيخان أن رسول الله ﷺقال لسيدنا عليٍّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ « انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِىَ اللهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ » .

ومهمة العلماء الربانيين في الأمّةِ المُسلمةِ إخراجُ النّاس من الظلماتِ كلّ الظلمات إلى النّور ، فاحْرصْ على أنْ يكونَ لك نصيبٌ موفورٌ من هذا الإخراجِ لِتكون مِن ورثةِ سيّدنا محمّد - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وصَحبِهِ وَسلَّمَ .

★★★★★

المحور الرّابع
(النّاس والمعجزات)

موقف الأقوام من الآيات المعجزات

ما مِن نَبيّ مِن الأنبياءِ أتَى قومه بآيةٍ أو آيات فأقبلَ عليه كلُّ قومه ، بل إن أكثر قومِه ليعرضُ عنه بمجرد أن تعرضَ عليه الآيةُ أو الآياتُ من دون تفكير، وذلك لخضوعِهم لعوامل منْها الهوَى والعصبية ، والحِقد واستكبار أن يخضعَ لغيره، واستعظام أن يكون بشرٌ تُخاطبه السماء إلى آخر هذه العوائق المتهافتة أمام سلطان العقل الرَّشيد {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ}[الأنعام:٣٣] {فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}[هود:٢٧] {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً}[الاسراء:٩٤] (وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ}[المؤمنون:٣٣ - ٣٤] {وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}[الزخرف:٣٠ - ٣١]

ولم يكتف المعاندون بما جاء به الأنبياء من آياتٍ قطعيّة الدلالة على صدقِهم،بل بَغَوا ، فطالبوا أنبياءهم بآياتٍ أخر .

{وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ}[يونس:٢٠] {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}[الرعد:٧] {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ}[الرعد:٢٧] {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا}[الفرقان:٧] {أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا}[الفرقان:٨] {انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا}[الفرقان:٩]

بل تمادوا في طلبهم الآيات

{وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا *أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً * قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً * قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}[الإسراء:٩٠- ٩٦] {وَقَالُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[العنكبوت: ٥٠- ٥١]

وعلى الرّغم من كثرة ما جاء به سيدنا عيسى - عَلَيْهِ السَّلامُ – من الآيات لبني إسرائيل إلّا أن الحواريين وهم صفوة بني أسرائيل طلبوا آيةُ تطمئن بها قلوبهم ، فسجّل الله تعالى ذلك عليهم.

{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة:١١١- ١١٥]

تبصر قولهم وهم الحواريون :« نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ » وكأن كلّ ما جاء به نبيهم من الايات لم تطمئن به قلوبهم،ولم يعلموا بها أنه قد صدقهم. ذلك ظاهر النظم، ولكن العلماء تأولوا طلبهم هذا على نحو يليق بمقامهم حواريين ([1])

---

[1]) راجع مستبصرًا ما ذهب إليه الطاهر ابن عاشور . التحرير والتنوير ج٧ص ١٠٣- ١٠٧

وأقوام الرّسل المعاندون تمادوا في فجورهم ، فمنهم من طلب رؤية الله جهرةً: (وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا}[الفرقان:٢١ - ٢٢] (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا) [النساء:١٥٣]

يقول الشيخ الخطيب:«هكذا يكون موقف النّاسِ بين يدي المعجزات حيثُ لا يكون للعقلِ سبيل إلى النّظر فيها – إنّها فوق مستوى العقول ، ولهذا يظل العقلُ في حاجةٍ إلى وارد يَردُ عليهِ من وراء هذه المعجزاتِ الماديّة وحتى يجد الطمأنينة والسكينة إليها»[1]

والحق أنّ الآيات المادية أسرعُ تأثيرًا من الآية العقلية، فالعقليةُ تحتاجُ إلى تبصّر وتدبّر،والناسُ في هذا جدّ متفاوتين، أمّا الآية الماديّة ، فالنّاس في إدراكها سواء، فطلب آياتٍ بعد الآياتِ الماديّة هو ضربٌ من العَنتِ والاستكبارِ والتعجيز ، ولذا لم يستجب الله تعالى لما طلبوا خلا ما طلبه الحواريون من نبيهم لأنّه لم يكن طلبًا على سبيل التعنت والاسكبار ، فأنّهم حواريّون.

ولما جاء سيّدنا محمد ﷺ كان أوّل ما جاء به آية عقليّةٍ : «القرآن» فَأخذ عليهم عقولهم فأدهشهم بما جاء به من معاني الهدى ونظمها على نحو أيقنوا جميعًا أنّهم لا يطيقون أن يقول مثلهم وجهر بعضهم بالحق حين صفا عقله.

روى البيهقي في«شعب الإيمان» بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، " أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَذَكَرَ مَا جَرَى بَيْنَهُمَا إِلَى أَنْ قَالَ الْوَلِيدُ:

« وَاللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ: حَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلَهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يَعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ »[2]

---

[1]) الإعجاز في دراسات السابقين. ص:٩٤

[2]) شعب الإيمان. تأليف :أبو بكر البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (ت: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ،أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند،الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ ج:١ ص٢٨٧ (رقم : ١٣٣)

وما كان للوليد بن المغيرة أن يعلن ذلك فيهم وهو على غير يقين منه، ولم يؤثر أن ردّ أحدٌ عليه مقالته ، ممّا يُعد صمتُهم إقرارًا جماعيًا بما قال.

ومقالته هذه في القرآن إذا أردنا أن نضعَ اليد عليها في القرآن كنا بحاجةٍ إلى جُهدٍ علمي إيمانيّ فنيّ مديدٍ، فكلُّ جملة من جمل مقالته تحتاجُ إلى استقراء موقعِها في القرآن، وهو بذوقِه البيانيِّ الصَّفي حين لم يجعل للعصبيّة والكِبر والحقد سلطانا عَلَيْهِ استطاع أن يدرك ذلك إدراكًا يقينيًّا لا يخشى أن يعارضَه فيه أحد. بيد أنه لما أذن لوسوسة أبي جهل ،فتسلل الهوى والعصبية إلى فؤاده نكص على عقيبيه، وقال في القرآن خلاف ما قال أوّلا، فسجل القرآن ذلك عليه.

(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا* وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيد * كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا* إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّر * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّر * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّر * ثُمَّ نَظَر *ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَر * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَر * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَر *إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَر *سَأُصْلِيهِ سَقَر * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر *لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَر * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَر * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر}[المدثر:١١- ٣٠]([1])

وهم على الرّغم من إقرارهم السُّكوتي بما قال الوليد إطراءً فيما سمع فإنهم من عتو عنتهم عمدوا إلى محاولة تعجيزه ﷺ : طلبوا آيات مادية تراها أعينهم ،وكأنّ ما تراهم أعينهم أولى مما تراه عقولهم، وذلك لا يكون إلا في شأن الدهماء ، لا شأن النبلاء فالنبيل تكفيه الإشارةُ ، فذمّوا أنفسهم من حيثُ لا يشعرون.

(وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً (٩٣)[الإسراء]

يقُول الشيخ عبد الكريم الخطيب"«وهذا لا يكونُ إلا من العقولِ التّي غلب عليها الهوى، وزاحم مدركاتها الضّلال التي عشش فيها.

[1]) راجع . تفسير مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠) تحقيق : عبد الله محمود شحاته ، نشر : : دار إحياء التراث – بيروت -(ط:١) عام ١٤٢٣ هـ ج:٤ص٤٩٢

وانظر مَصاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ تأليف برهان الدين البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت/٨٨٥هـ) دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض(ط:١) عام: ج ٢ص٢٠٩ -٢١١

أمّا العقول السّليمة فإنّها ترضَى بمدركَات العقلِ حكمًا وتجعلُ له سلطانَه الذي لا ينازع عندها ، ولهذا جاء قولُه تعالى منكرًا على أهلِ الضّلالِ أن يلتمسوا غير مدركَات عقولهم دليلًا يدلُّهم على مواقعِ الحقّ والخير، فيقول: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون) [العنكبوت:٥١] »([1])

وفي هذه الآية بيانٌ لكل عقيل أن القرآن كفاءٌ لكل ذي حاجة متعلقة بإيمانه وعلاقته بالله تعالى وعلاقته الحُسنى بالحياة كونًا وإنسانًا ـ فهو الصّراط المستقيم الذي يستجديه المُصلي في كل ركعةٍ(اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم)(أم الكتاب:٦) فمن طلب الهدَى في شيْء من غير أمور الدّنيا الصّرفة من غير القرآن ضَلّ ضلالاً مبينًا مبيرًا.

وإذا ما كان أكثر أقوامِ الأنبياء كانوا مصادمين مستكبرين على الرّغم من أنّ أكثرهم عليمٌ بأنّ ما ما جاء به النّبي حَقٌ مُبينٌ إلّا أنه الهوى والكبر والاستصغار والعصبية كانت حجازًا، فليكن لك من الله عاصمٌ من هذه العوائق عن قبول الحق

(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُون}[الأنعام:٣٣]

بجانب أولئك كانت ثلّةٌ من العقلاء الحكماء، خضعوا لسلطان العقل ، وانتصروا له على الأهواء ، فقبلوا وأقبوا وناصروا وحملوا الرسالة . وذلك شأن الحق والخير أنه لا يخلو من معاندين ومن قائمين به، روى الشيخان البخاري في «الطب» ومسلم في «الإيمان» من صحيحيهنا بسنديهما عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ - رضى الله عنهما - قَالَ لاَ رُقْيَةَ إِلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ . فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « عُرِضَتْ عَلَىَّ الأُمَمُ ، فَجَعَلَ النَّبِىُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِىُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى رُفِعَ لِى سَوَادٌ عَظِيمٌ ، قُلْتُ مَا هَذَا أُمَّتِى هَذِهِ قِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ . قِيلَ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ . فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ ، ثُمَّ قِيلَ لِى انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِى آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ ، فَنَحْنُ هُمْ أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِى الإِسْلاَمِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِى الْجَاهِلِيَّةِ . فَبَلَغَ النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم - فَخَرَجَ فَقَالَ هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ ، وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

[1]) الإعجاز في دراسات السابقين .ص٩٥

» . فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ « نَعَمْ » . فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا قَالَ « سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ » .

والناس إزاء والرسالات كمثل الأرض إزاء الغيث، فليس كل الأرض تنبتُ بالغيث، وما ينت منها من دون ما لا ينبت. روى الشيخان البخاريّ في كتاب«العلم» ومسلم في كتاب «الفضائل»من صحيحيهما بسنديهما عَنْ أَبِى مُوسَى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النَّبِىِّ ﷺ قَالَ « مَثَلُ مَا بَعَثَنِى اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى ، إِنَّمَا هِىَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً ، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِى دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِى اللهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ » .

فلتكن حريصًا على أن تكون من الطائفة الأولى «أرض نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ »

★★★★★

[كفاية القرآن تقريرًا كمال صدق النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وصَحبِهِ وَسَلَّمَ ـ فيما أخبر به من أنه النبي الخاتم للناس جميعًا]

كان ما تحدّى به سيدُنا محمَّد ﷺ الثّقلين شيئًا واحدًا هُو القرآنُ ؛ لأنَّ قومه الذين كان فِيهم :" العرب" ما بَرعوا إلّا في البيانِ ، فكان القرآن هو الآيةُ البرهان الكفاءُ

وقد نَعَى على مَن طلبوا منه ﷺ آياتٍ أخر مع القرآن:

{ وَقَالُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [العنكبوت:٥٠- ٥٢]

لم يجعل اللهﷻ نبيّه ﷺ متحديًا قومه مبرهنًا على أنّه الرسول بكلّ ما كان من خوارق العادات التي أجراها ﷺ على يديه ﷺ بل جعل القرآن وحدَه هو المتحدّى به ممَّا أجراه ﷺ على يديه - ﷺ من الخوارق برهانًا على أنّ القرآن كافٍ في ذلك، وأنّ كلَّ مَن كان فيه ذرة مِن تعقلٍ وحياءٍ لا يحتاجُ معَه إلى غيرِه من الآياتِ والبرهان ، ففي القرآن وحده الكفاية، فمنْ لم يكفِه ذلك ـ فإنه قد سفه نفسَه ،ولن يُصلحه شيْءٌ غير القرآن بتة ، وفي هذا من التعريض بمن طلب آية أخرى مع القرآن برهانا على صدق رسول الله ﷺ

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا * وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً) [الإسراء:٨٨ -٩٣]

الذين طلبوا هذه الآيات وبين أيديهم آيةُ الآيات وأجلُّها قدرًا، وأنفعُها للنّاسِ أجمَعين إلى يومِ الدين ، أعلنوا بطلبهم هذا عمَّا هم فيه من الحمقِ والسّفه، وحسبوا ضلالة أنّهم بذلك يدحضون دعوة النبيِّ ﷺ وهم الذين قدموا له برهانًا على ما هم فيه ،وأنهم لو عقلوا فنكسوا رؤوسهم حياءً مما قالوا .

(أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [الأعراف :١٧٩] (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً)[الفرقان:٤٤]

من يُحسن الإصْغاء والتّفقه والتّدبر لكتاب الله تعالى يوقن أنَّ كل شيْءٍ فيه إنّما هو آية وبرهانٌ على أنه كلامُ الله ﷻ وأنّ سيدنا محمدًا رسولُ الله ﷺ

ولو أنّ الله ﷻ استجاب لقول المعاندين: « لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ » وأنزل ماطلبوا لما كان الذي طلبوا بجانب القرآن شيئًا،ولذهبت بذهابهم،وما بقي لنا ولمن بعدنا منها إلا الخبر عنها.

رَوى الشّيخان البخاري في كتاب«فضائل القرآن» ومسلم في كتاب«الإيمان» من صحيحيهما كل عن اللَّيْثُ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ الْمَقْبُرِىُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « **مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِىٌّ إِلاَّ أُعْطِىَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَىَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » .

هذا دالك على أن معجزته إنّما تدرك بالعقلِ والتّفكر لا بالبصر، وما كان كذلك كان أبقى وأهدَى ، فكان مَن آمن به أكثر.

ويفهم من هذا أنه لو كانت حسيّةً بصرية، لانقرضت ، ولما كان للنّاس من بعد ما يَحملُهم على الإيمان بها، فكان مقتضَى عمومِ الرّسالة، ودَيموميتِها أن تكون آيتُها أيضًا خالدةً،وأن يَكونَ حظ آخر من يخلقُه اللهُ ﷻ في الدّنيا كحظ من كان في زمانه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وصَحبِهِ وَسَلَّمَ .

وهذا يستوجبُ علَينا عظيمَ الشكرِ لله تعالى على هذه النّعمة شكرًا عمليًا يتمثّلُ في كمال الإيمان به وعلَى السّعي الرّشيد إلَى حُسن تعلُّمه تلاوةً وتدبرًا، وتأدبًا ، ودعوةً إليه بلسانِ الحال قبل لسانِ المقالِ ، فإنّ لسانَ الحالِ أصدقُ وأبلغُ وأنجعُ.

إن كلّ آيةٍ من آياتِ القرآن تحمل إلى الفؤاد الرشيد السّميعِ البصيرِ ما يقرر وجدانيةَ الله ﷻ وتنزّهه عن كلّ نقصٍ .

وهذا يوجبُ على كل متدبرٍ آياتِه أن يستبْصِر في كل آية معنى «لا إله إلا الله محمّد رسُول الله » ويسبصر معنى «لا حول ولا قوةَ إلا باله ،وأن يستبصر فيها معالمَ جلالِ الألوهية،وجمال الربوبية »

هذه الأربعة حاضرة في كل آيةٍ في سياقِها، وهي لا تتفاوت حضورًا ، بل تتفاوت ظهورًا، ففي بعضِ الآياتِ تجد معالم الجلالِ أظهر، ومن لوازمها معالم الجمال ، وبعضها تجد معالم الجمال أظهر ،ومعالم الجلال ألطف، وذلك بحسب اقتضاء السياق .

المهم ألّا تنتقل من النظرِ في الآيةِ إلى تاليتِها إلّا وقد أطْعَمْت فؤادَك هذه الأربعة.

وأنت إذاذ ما تبصرت مصطبرًا قول الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لرسُوله سيدنا محمدﷺ :

« وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُور »[الشورى:٥٢- ٥٣]

تجلّى لك **عظيمُ** قدرِ القرآن ، **وعظيم** قدر رسولِ الله ﷺ المختصّ بهذا الوحي نزولًا عليه **وعظيم** قدر أمته المختصة بإنزال القرآن إليها هدًى، فاختصاصها بالقرآن، وبأن يكونَ رسُولها سيد المرسلين،ﷺ وأفضل خلق الله أجمعين ، وأرفعهم مكانة عن ربه ﷻ إنّما هو نِعمَةٌ عُظمَى.

تبصر قوله تعالى«روحًا من أمرنا» وما تحمله كلمة «روحًا» من دلالة على تجدد الحياة ، وما في قوله تعالى « جَعَلْنَاهُ نُورًا » من دلالة على عظَيم قدر القرآن وعظيم حاجةِ البشرية إليْه ،وأن كل ما عداه بالنسبة إليه ظلامٌ دامس ، فمهما أنتجت العقول البشرية

من معارف وعلوم فإن ذلك كله بجانب القرآن لا شيءَ ما لم يكن مستمدًا منه ، ممّا يجعلك لا تقفو شيئاً منها إلا من بعد عرضها على القرآن فماوافقه منها قبل ،وإلا فهو ردٌّ

إنك إن كنتَ إلى استبصار هاتين الآيتينِ مصطبرًا مليكًا لأدواتِ ومهاراتِ وخبرات الاستبصار والتدبر فإنَّ ما بقي من عُمُرك وجُهد لا يَتسعُ للإحاطة بمعشار ما في هاتين الآيتين، فإنه كتابٌ مبارك لا يخلقُ على كثرةِ الردّ ولا تنقضِي عجائبه ولا يشْبعُ منه العلماء.

«قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا» [الكهف:١٠٩]

« وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [لقمان:٢٧]

المحور الخامس
[القرآن هو المعجزة الخالدة]

سبق أن ذكرت ما رواه الإمامُ أحمد من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « **مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِىٌّ إِلاَّ وَقَدْ أُعْطِىَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىَّ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَبَعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ».

وبينت ما فيه من أنّ كلّ نبيّ كانت معه آيةٌ أو أكثر ، وأنّ كلّ رسول معه آية أو آياتٌ وكتاب :

الإياتُ للإعجاز تصديقًا من الله تعالى لنبوته ورسالته إلى قومه

والكتاب للهداية

أمّا سيّدنا رسول الله ﷺ فقد آتاه الله الكتاب معجزة وهداية ، فجمع له الأمرين معًا في آيةٍ واحدة، وهي آيةٌ عقلية باقية على الدّهر حتى يوم القيامة ما من خَلِيٍّ مِن الهَوَى والعَصبية نظر فيه بإنصافٍ إلا وأيقن أنّه ليس من كلامِ البشر ، والله تعالى قال عنه في طليعة سورة«البقرة»:«لا رَيْبَ فيه» أي ليس فيه ما يبعث العقيل النّصيف البراء من الهوى والعصبية والاستكبار أن يجد فيه ما يدعوه إلى الارتياب، وهذا يؤكّد أنّ كلّ من ارتاب في شيْءٍ منه ، فإنما ذلك راجعٌ إلى نفسه أوعقلِهِ أو قلبه ، في أيّ واحد منها مرضٌ ، وليس للقرآن الكريم ، فالذي أنزله على خير خلقه ﷺ تكفل بحفظه كما تكفل بإنزاله {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[الحِجر:٩]

ومن حفظه أن يحفظه من أن يكون فيه ما يُرتاب فيه ،وأن يكون فيه ما معنى له، وأن يحفظه من أن يحرف أو يصحف ،ويحفظه من كلّ ما منيت به الكتب والصحف السماوية.

يقُول الشيخ الخطيب في بيانه معنى قول سيّدنا رسول الله ﷺ:« وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىَّ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَبَعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».:«ونقُولُ إنّ الرسُول الكريم يكشف في هذا الحديث عن المعجزة القرآنية بأنّها معجزةٌ عقليةٌ . هِيَ وَحيٌ يُوحَى، أيّ شيءٌ يدرك بعينِ البصيرةِ ، فيهتدي إليه العقلُ من خلالِ الإشاراتِ العقليةِ واللمحات البعيدةِ التي تجتمعُ من خيوطها شَواهد الحقّ على أنّ هذا الكلامَ ليسَ من كلامِ البشر.

ليس المقصودُ بالوحي في قوله ﷺ «إنما كان الّذي أوتيته وحيًا يوحَى» الوحي الذي نزل عليه القرآن ،وإنما هو الوحي الذي ينزل على قلوب الناس من القرآن حين يستمعون إليْهِ أو يقرؤه، فالوحي معناه هنا الإشارة الدّالّةُ واللمحة الموحية.....

وليس في القرآن الكريم آيةٌ من آياتِه تخلو من إشارة دالةٍ أوْ لمحةٍ موحيةٍ تتولّد منها حقيقةٌ كاملةٌ تنطِقُ أنّ هذا القرآن هو كتابُ اللهِ وأنّ هذا الكلامَ كلامُ اللهِ .

ومنْ هنا يكثرُ أتباعُ هذِهِ الرّسالة ،إذ هِي رسالةٌ إلى كلّ إنسانٍ ووحيّ إلى كلّ عقلٍ لايحصرها زمان ،ولا يحدها مكانٌ»([1])

كأني بأستاذنا الخطيب يُومئُ إلى أنّ القرآن وحيٌ يوحِي إلى المؤمن به المتأدب بِهِ إذ يرتله من معاني الهدَى الإحسانية المتنزلة على قلبه ، فالقرآن مُوحًى بِهِ إلى الرسول ﷺ وهو مُوحٍإلى من يرتله مؤمنًا بِهِ مطيعًا له، فهو هدًى ورحمةً وبشرى ونر وشفاء. لمن آمن به وأطاعه.

هذا الذي لفت إليه الشيخ الخطيب ملمح لطيف طريف ، ولعل مخرجه أنه لاحظ العلاقة بين قول الرسول صلة « فأنا أرجو أن أكون... » بقوله «كان الّذي أُتيته وحيًا أوحي إليّ» فذهب إلى أنّه لما كان إنزله على رسول الله وحيًا ، كان إنزله معانيه على من آمن به وحيا إلى قلوبهم ، فهو كتابًأنزل على رسول الله صلة إلى قومه.

وقد أكّد الله تعالى أنّ في القرآن كفاءٌ عن طلب أيّ آية أخرَى تُصدّق ما أخبر به الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وصَحبِهِ وَسَلَّمَ – أنّه نبيٌّ ورسُولٌ لقومهم ، فقال تعالى{ {وَقَالُوا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِين * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون}[العنكبوت:٥٠- ٥١] ففي هذا الاستفهام «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ...» من التسفيه لهم ،وأنهم لو عقلوا لكانوا كمن كان على نهرٍ جارٍ رقراق منساب ثم يطلب ماء ليشرب من غيره.والعقلاء على أنّه مَنْ قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السوَاقِيا ، فقولهم (لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ) من بعد أن جاءهم القرآن فطأطأ من أعناقهم، إنما هو آيةٌ على حمقهم وعنتهم وأنهم قد اصيبوا في عقولهم (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ

[1]) الإعجاز في دراسات السابقين.ص ١٠٢-١٠١

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف:١٧٩] ([1])

وعلى الرغم من ذلك كله فقد كانت له ﷺ آيات مادية حسية كثيرة ربّما كان أكثر الأنبياء آيات ، وهو الغنِيّ عنها،فهو نفسه آية نبوة ﷺ

وكلُّ عقيلٍ فهيم يكفيه القرآن آية الآيات على أنه ﷺنبيّ ورسول من عند الله تعالى ومن ثم كان منطق العقلّ إنّه إذا ذكر القرآن آية النبوة المحدية فليس ثم عقيل بحاجة إلى آية أخرى، فالقرآن هو الآية الخالدة الكبرى التي تؤسس الإيمان،والآيات الأخر التي جرت على يديه ﷺ إنما هي مؤكدة ومجددة ذلك الإيمان

يقُول القاضي أبي بكر الباقلاني(ت: ٤٠٥هـ) :« الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن أن نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة وأحوال خاصة وعلى أشخاص خاصة ونقل بعضها نقلا متواترا يقع به العلم وجودا وبعضها مما نقل نقلا خاصا إلا أنه حكى بمشهد من الجمع العظيم وأنهم شاهدوه فلو كان الأمر على خلاف ما حكي لأنكروه أو لأنكره بعضهم فحل محل المعنى الأول وإن لم يتواتر أصل النقل فيه وبعضها مما نقل من جهة الآحاد وكان وقوعه بين يدى الآحاد

فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد وإن كان قد يعلم بعجز أهل العصر الأول عن الإتيان بمثله وجه دلالته فيغني ذلك عن نظر مجدد في عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله وكذلك قد يغنى عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله عن النظر في حال أهل العصر الأول »([2])

---

[1]) على مدرجة السفه والحمق كل من أعرضَ عن القرآن ولم يتخذه الصراط المستقيم الأوحد وسبيلًا إلى حل كل معضلة في غير شؤون الدنيا الصرفة وذهب يبحث عن مذاهب وفلسفات متعاندة في نفسها ومع بعضها . ألم يكفهم كتاب ربنا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الذي جعله هدًى ونز وشفاء ورحمة؟!!!!!

[2]) إعجاز القرآن . تأليف: أبي بكر الباقلاني :محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم(ت:٤٠٥هـ) تحقيق : السيد أحمد صقر، نشر: دار المعارف – القاهرة . ص: ٨

أبان لنا الباقلاني الفرق بين القرآن آية معجزة، والآيات المادية الأخر التي أجراها الله ﷻ على يد رسوله ﷺ على مشهدٍ من أصحيه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُم – في أزمنة وأماكن معينة انتهت بانتهائها،ولم يبق منها إلا الخبر المتناقل تواترًا أو آحادًا بيْنا القرآن آية باقية إلى يوم القيامة تدمغ كلَّ حاجد كما تهدي كل مسالم.

وثَمّ أربعة فروقٍ جوهرية بين القرآن والآيات المادية لرسولِ الله ﷺ :

[الأوّل] :أنَّ القرآنَ مؤسّس للإيمان بيْنا الآيات الأُخر موكدّة ومجدّدة له.

[الثّانِي] : أنَّ القرآن آيةٌ خارقةٌ لعادة قومِه فِي ما برعوا فيه :«البيان» وأنَّ الآيات الأخر خارقة للعادة في ما ليس لِقومه أثر فيه .

[الثالث] : أنَّ القرآنَ جامعٌ بيْن الإعجاز والهداية ، وأنّ الآيات الإخر منحصرة في خرق العادة،ولبسي فيها هداية وإرشاد إلى التي هي أحسن في مسالك الحياةِ

[الرابع] : أنَّ القرآن قد جاء التّصريح بالتَّحدي به أمّا الآيات الأخر فلم يصرح فيها بالتحدي،وإن فهم ضمنا .

تلك فروقٌ جوهرية بيْن القرآن كتاب معجزةٍ وهداية وإرشاد إلى الحسْنى،وبالآيات المادية الأخر. وعلى الرغم من أنّ القرآن في عيْن عقيلٍ نصيفٍ هو الآية العظمى التي لا يرتاب فيها من تطهر من الهوى والعصبية والحقد إلا أنَّ المعاندين يشغبون مطالبين بآيات حسية مادّية ،وقد لفت بعضُ المستشرقين إلى هذا العنت الذي ركب متنه الكافرون([1])

وإذا كان غير قليل من كفار مكة كان يتخفى ليستمع تلاوة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وصَحبِهِ وَسَلَّمَ – القرآن لما له من تأثير قوي إلا أن الهوى والعصبية والحقد حاجزوهم عن الإقبال والمسالمة ، فإن الأمر كذلك في زماننا نجد كثيرًا من المستشرقين من يجهر بعلو شأن القرآن ،وأنه كلمة الله تعالى ،ومنهم من آمن وأكثرهم لم يهتدِ،وقد جمع الأستذ الدكتور عماد خليل الأديب

---

[1]) نقل الشيخ عبد الكريم الخطيب في كتاب «الإعجاز في دراسات السابقين »ص(١٠٢-١٠٣) مقالةالمستشرق النمساوي"جوستاف جرونيباوم"(١٩٠٩ - ١٩٧٢م) في كتابه حضارة الإسلام.ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد.نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .سلسلة (الألف كتاب. رقم١٦٠) ص(١٠٤-١٠٥) ويجملّ بك طالب علم أن تقرأ مستبصرًا «الفصل الثاني : الأساس الديني: الوحي» في كتاب «حضارة الإسلام.»

والمؤرخ العراقي بعضًا من قول المستشرقين في القرآن تحت عنوان « قالوا عن القرآن» وقد نشر في ذيل كتاب«إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز»تأليف بديع الزمان سعيد النورسي ([1]) وحق أن تقرأ ذلك ولولا ضيق المجال لنقلته لك . وإني مصطفٍ لك بعض ما قالوا :

يقول المستشرق الفرنسي مارسيل بوازار :

« لابدّ عند تعريف النصّ القدسي في الاسلام من ذكر عنصرين:

الاول انه كتاب منزل ازلي غير مخلوق

والثاني انه (قرآن) أي كلامٌ حيٌّ في قلب الجماعة..

وهو بين الله تعالى والانسانية (الوسيط) الذى يجعل أي تنظيم كهنوتى غير ذي جدوى، لأنّه مَرضيّ به مرجعاً أصلياً، وينبوع إلهام أساسي.. ومازال حتّى أيامنا هذه نموذجاً رفيعاً للادب العربى تستحيل محاكاته.

إنّه لا يمثل النّموذج المحتذى للعمل الأدبي الأمثل وحسب، بل يمثل كذلك مصدر الادب العربي والاسلامي الذي أبدعه، لأن الدين أوحى به ... »

ويقُول أيضًا:« إن القرآن لم يُقدّر قطُّ لإصلاح أخلاق عرب الجاهلية. إنه على العكس يحمل الشريعة الخالدة والكاملة والمطابقة للحقائق البشرية، والحاجات الاجتماعية في كل الازمنة »

ويقُول المستشرق الألماني السويسري "إميل لودفيج" (١٨٨١ - ١٩٤٨ م):

« كان محمد ﷺ يُعد نفسه وسيلة لتبليغ الوحي، وكان مبلغ حرصه أن يكون أميناً مصغياً او سجلاً صادقاً او حاكياً معصوماً لما يسمعه من... الكلام القديم على شكل دنيوي، لكلام الله تعالى الذي هو أمّ الكتاب، للكلام الذي تحفظه ملائكة كرام في السماء السابعة. ولا بد لكل نبى من دليل على رسالته، ولابد له من معجزة يتحدى بها.. والقرآن هو معجزة محمد ﷺ الوحيدة، فاسلوبه المعجز وقوة ابحاثه لا تزال.. إلى يومنا يثيران ساكن من يتلونه، ولو لم يكونوا من الاتقياء العابدين، وكان محمد ﷺ يتحدى الانس والجن بان يأتوا بمثله، وكان هذا التّحدى اقوم دليل لمحمد ﷺ على صدق رسالته.. ولا ريب ان في كل آية منه، ولو اشارت إلى ادق حادثة في حياته الخاصة، تأتيه بما يهزّ الروح بأسرها من المعجزة العقلية، ولا ريب في ان هنالك ما يجب ان يبحث به عن سرّ نفوذه وعظيم نجاحه »

ويقُول المستشرق الفرنسي هنري دي كاستري(١٨٥٠-١٩٢٧م):

[1]) نشر كتاب «إشارات الإيجاز » بتحقيق الأستاذ إحسان قاسم الصالحي.في سلسلة«كليات رسائل النور»رقم(٥) نشر شركة سوزلر للنشر مدينة نصر القاهرة (ط:٤) سنة ٢٠٠٤م) وهذا الكتاب مهم جدًا للباحثين في بلاغة القرآن فاحرص على أن تخاذنه.

« إنَّ العقل يحار كيف يتأتّى أن تصدر تلك الآيات عن رجلٍ أُمي ، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنّها آياتٌ يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى.
آيات لمّا سمعها "عقبة بن ربيعة" حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها لإقناع "عمر بن الخطاب" ﵁ فآمن بربّ قائلها([1]) وفاضت عين "نجاشيّ الحبشة" ﵁ بالدّموع لما تلى عليه "جعفر بن ابى طالب"﵁ سورة "زكريا"﵇ وما جاء في ولادة "يحيى" ﵇ وصاح القسس ان هذا الكلام واردٌ من موارد كلام عيسى ﵇. لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا ان نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لأفكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الامم عندنا، غير أنّه لا ينبغي ان يكون ذلك سببًا في معارضة تأثيره في عقول العرب.
ولقد أصاب (جان جاك روسو)([2]) حيث يقول: (من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القران ويضحك منه ولو انه سمع محمداً ﷺيمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذي يطرب الاذان ويؤثر في القلوب.. لخرّ ساجداً على الارض وناداه: أيها النبيّ رسول الله خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخار او مواقع التهلكة والاخطار فنحن من اجلك نودّ الموت او الانتصار)([3]) ..
وكيف يعقل ان النبي ﷺ الّف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع انها في الازمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها الا القوم العالمون.. ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولي على الافكار ويأخذ بمجامع القلوب. »

يتبع إنْ شاء الله تعالى الحلقة الثانية: المحور السادس:«زمان المعجزة ومكانها»

---

[1]) يقصد آمن برب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آله وصَحبِهِ وَسَلَّمَ – الذي بالغها.

[2]) جان جاك روسو" سوسري (١٧١٢ -١٧٧٨ م) برز في عصر التّنوير، وكانت أفكاره ونظريّاته في التعليم والدين مؤثّرة ومثيرة للجدل له كتاب «» محاولة في أصل اللغات" ترجم إلى العربية،وكتاب العقد الاجتماعي،وكتاب اعترافات جان جاك روسو،ورواية "دين الفطرة"،وكتاب " اصل التفاوت بين الناس"

[3]) كلام جان جاك روسو في كتابه«محاولة في أصل اللغات» تعريب محمّد محجوب،تقديم عبد السلام المسدي،نشر: مشروع النشر المشترك:دائرة الشؤون الثقافية العامة.(آفاق عربية)بغداد،والدار التونسية للنشر. ص:٧١